سورة التكوير

وآياتُها تسعٌ وعشرون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى :

إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤

اختلفَ أهلُ التأويلِ في تأويلِ قولِه : « إذا الشمسُ كُوِّرَتْ » فقال بعضُهم : معنى ذلك : إذا الشمسُ ذهبَ ضوءُها . وقال آخرون : معنى ذلك : رُمِيَ بها .

والصوابُ من القولِ في ذلكَ عندي : أنْ يُقالَ : « كُوِّرَتْ » كما الله جلَّ ثناؤه ؛ والتكويرُ في كلامِ العربِ : جَمْعُ بعضِ الشيءِ إلى بعضٍ ، وذلك كتكوير العمامة ، وهو لفُّها على الرأس ، وكتكويرِ الكارة ، وهي جمعُ الثيابِ بعضِها إلى بعضٍ ولفُّها ، وكذلك قولُه : « إذا الشمسُ كُوِّرَتْ » إنما معناه: جمعُ بعضِها إلى بعضٍ ، ثم لُفَّتْ فَرُمِيَ بها ، وإذا فُعِلَ ذلك بها ذهبَ ضوءُها .

وقولُه : « وإذا النجومُ انكَدَرَتْ » يقولُ : وإذا النجومُ تناثرتْ مِن السماءِ فتساقطتْ ، وأصلُ الانكِدارِ : الانْصِبابُ .

قولُه : « وإذا العِشارُ عُطِّلَتْ » والعِشارُ :جمْعُ عَشْراء ، وهي [الإبل] التي قد أتى عليها عشرةُ أشهرٍ من حَمْلِها . يقول تعالى ذِكْرُهُ : وإذا هذهِ الحواملُ التي يتنافسُ أهلُها فيها أُهْمِلَتْ فترُكَتْ ، من شِدَّةِ الهولِ النازلِ بهم ، فكيفَ بغيرِها ؟!

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى :

وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠

اختلفَ أهلُ التأويلِ في معنى قولِه : « وإذا الوُحوشُ حُشِرَتْ » فقال بعضهم : معنى ذلك : ماتتْ .

وقالَ آخرونَ : بل معنى ذلك : وإذا الوحوشُ اختلَطتْ . وقال آخرون : بل معنى ذلك : جُمِعَتْ . وأولى الأقوالِ في ذلك بالصوابِ قولُ من قالَ : معنى حُشِرَتْ : جُمِعَتْ ، فأُمِيتَتْ ، لأنَّ المعروفَ في كلامِ العربِ في معنى الحشرِ : الجمعُ ؛ ومنه قولُ اللهِ تعالى : « والطيرَ محشورةً » يعني : مجموعةً ؛ وقولُه : « فحَشَرَ فنادى » ، وإنما يُحمَل تأويلُ القرآن على الأغلبِ الظاهرِ مِن تأويلِه ، لا على الأنكَرِ المجهولِ .

وقولُه : « وإذا البحارُ سُجِّرَتْ » اختلفَ أهلُ التأويلِ في معنى ذلك ، فقالَ بعضُهم : معنى ذلك : وإذا البحارُ اشتعلتْ ناراً وحَمِيَتْ .

وقالَ آخرونَ : معنى ذلك : فاضَتْ .

وقالَ آخرونَ : بل عنى بذلك أنه ذهبَ ماؤها .

وَأَوْلى الأقوالِ في ذلكَ بالصوابِ قولُ مَن قالَ : معنى ذلك : مُلِئتْ حتى فاضتْ ، فانفَجَرتْ وسالتْ كما وصفَها اللهُ به في الموضعِ الآخرِ ، فقالَ : « وإذا البحارُ فُجِّرَتْ » ، والعربُ تقولُ للنهرِ وللرَّكْي المملوءِ : ماء مسجور ؛ ومنه قولُ لبيد :

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيِّ وصدَّعا * مسجورةً مُتَجاوِراً قُلاَّمُها

ويعني بالمسجورةِ : المملوءةِ ماءً .

وقولُه : « وإذا النفُوسُ زُوِّجَتْ » اختلفَ أهلُ التأويلِ في تأويلِه ، فقالَ بعضُهم : أَلْحَقَ كلَّ إنسانٍ بشَكْلِه ، وقَرَنَ بينَ الضُّرَباء والأمثال .

وقالَ آخرونَ : بل عُنِيَ بذلك أنَّ الأرواحَ رُدَّتْ إلى الأجسادِ فَزُوِّجَتْ بها أي جُعِلَتْ لها زوجاً .

وأَوْلى التأويلينِ في ذلك بالصحَّةِ ، الذي تأوَّله عمرُ بن الخطاب رضيَ اللهُ عنه للعلَّةِ التي اعتلَّ بها [1] ، وذلك قولُ اللهِ تعالى ذِكْرُهُ : « وكُنتُم أزواجاً ثلاثةً » ، وقوله : « اُحْشُروا الذينَ ظَلَموا وأزواجَهم » وذلك لا شك الأمثالُ والأشكالُ ، في الخيرِ والشرِّ ، وكذلك قولُه : « وإذا النفُوسُ زُوِّجَتْ » بالقُرَناءِ والأمثالِ في الخيرِ والشرِّ .

---

[1] ذكر الطبري – رحمه الله – في الكتاب أكثر من رواية لعمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يتأول هذه الآية ، فعن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « وإذا النفوس زوجت » قال : هما الرجلان يعملان العملَ الواحد يدخلان به الجنة ، ويدخلان به النار . وأيضاً عن النعمان يقول : سمعتُ عمر بن الخطاب وهو يخطب : « وكنتم أزواجاً ثلاثة ، فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون » ثم قال : « وإذا النفوس زوجت » قال : أزواج في الجنة وأزواج في النار . (جامع البيان ، ٣٠/٦٩) .

www.fustat.com ©

وقولُه : « وإذا الموءودةُ سُئِلَتْ ، بأيِّ ذنْبٍ قُتِلَتْ » اختلفت القُرَّاءُ في قراءة ذلك ، فقرأه أبو الضحى مسلمُ بن صبيح « وإذا الموءودةُ سَأَلَتْ ، بأيِّ ذنبٍ قُتِلَتْ » بمعنى : سَأَلَت الموءودةُ الوائدينَ : بأيِّ ذنبٍ قتلُوها . وأولى القراءتينِ في ذلكَ عندَنا بالصوابِ : قراءةُ مَن قرأ ذلك « سُئِلَتْ بأيِّ ذنبٍ قُتِلَتْ » على وجهِ الخَبَرِ ، لإجماعِ الحجةِ من القراءِ عليه . والموءودةُ : المدْفونةُ حيَّةً ، وكذلك كانت العربُ تفعلُ ببناتِها ؛ ومنه قولُ الفرزدق بن غالب :

ومِنَّا الذي أحيا الوَئِيدَ وغائبٌ * وعمرٌو ، ومنَّا حامِلونَ ودافِعُ

يُقالُ : وَأَدَهُ فهو يَئِدُه وأداً ، ووأدةً .

وقولُه : « وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ » يقولُ تعالى ذِكْرُهُ : وإذا صُحُفُ أعْمالِ العِبادِ نُشِرَتْ لهم ، بعدَ أنْ كانتْ مَطوِيةً على ما فيها مكتوبٌ ، مِن الحسناتِ والسيئاتِ .

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى :

وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾

يقولُ تعالى ذِكْرُهُ : وإذا السماءُ نُزِعَتْ وجُذِبَتْ ، ثم طُوِيَتْ .

وقولُه : « وإذا الجحيمُ سُعِّرَتْ » يقولُ تعالى ذكره : وإذا الجحيمُ أُوقِدَ عليها فأُحْمِيَتْ .

وقولُه : « وإذا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ » يقول تعالى ذكره : وإذا الجنَّةُ قُرِّبَتْ وأُدْنِيَتْ .

وقولُه : « عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أحضرَتْ » يقول تعالى ذكره : علمتْ نفسٌ عندَ ذلك ما أحضرَتْ من خيرٍ ، فتصيرُ به إلى الجنةِ ، أو شرٍّ فتصيرُ به إلى النارِ ، يقولُ : يتبيَّنُ له عندَ ذلك ما كانَ جاهلاً به ، وما الذي كانَ فيه صَلاحُه مِن غيرِه .

وقولُه : « علمتْ نفسٌ ما أحضرتْ » جوابٌ لقوله : « إذا الشمسُ كُوِّرَتْ » وما بعدَها .

وقولُه : « فلا أُقْسِمُ بالْخُنَّسِ ، الجوارِ الكُنَّسِ » : اختلفَ أهلُ التأويلِ في الخنَّسِ الجوارِ الكنَّسِ ، فقالَ بعضُهم : هي النجومُ الدراريُّ الخمسةُ ، تخنِسُ في مجراها فترجع ، وتكنِسُ فتَسْتَتِرُ في بيوتِها ، كما تكنِسُ الظباءُ في المغارِ . والنجومُ الخمسةُ : بهرام[٢] ، وزحل ، وعطارد ، والزُّهرة ، والمشتري .

وقال آخرون : هي بقرُ الوحش التي تكنِسُ في كِناسها .

[٢] اسم آخر لكوكب المريخ ، بسبب لونه الذي يميل إلى الاصفرار ، وهو مشتق من « مبهرم » بمعنى « معصفر » .

وقالَ آخرونَ : هي الظباء .

وأولى الأقوالِ في ذلكَ بالصوابِ أنْ يُقالَ : إن اللهَ تعالى ذِكْرُهُ أقسمَ بأشياءَ تخنس أحياناً : أي تغيب ، وتجري أحياناً وتكنِسُ أخرى ، وكنوسها : أنْ تأوي في مكانسها ، والمكانس عند العربِ ، هي المواضعُ التي تأوي إليها بقر الوحش والظباء ، واحدُها مَكْنِس وكِناس . فالكناسُ في كلام العرب ما وصفتُ ، وغير مُنكر أن يُستَعارَ ذلك في المواضعِ التي تكونُ بها النجومُ مِن السماءِ ، فإذا كانَ ذلك كذلك ، ولم يكنْ في الآيةِ دلالةٌ على أن المرادَ بذلك النجومُ دون البقر ، ولا البقر دونَ الظباءِ ، فالصوابُ أن يُعَمَّ بذلك كلُّ ما كانتْ صفته الخُنوس أحياناً ، والجري أحياناً ، والكنوسُ بِأَنَّاتٍ على ما وصفَ جلَّ ثناؤه مِن صِفَتِها .

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى :

وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾

أقسمَ ربُّنا جلَّ ثناؤه بالليلِ إذا عسعسَ .

واختلفَ أهلُ التأويلِ في قولِه : « والليلِ إذا عَسْعَسَ » فقالَ بعضُهم : عنى بقولِه : « إذا عسعَسَ » : إذا أدْبَرَ .

وقال آخرون : عنى بقولِه : « إذا عسعَسَ » : إذا أقبلَ بظلامِه .

وأوْلى التأويلينِ في ذلك بالصوابِ عندي قولُ مَن قالَ : معنى ذلك : إذا أدبرَ ، وذلك لقوله : « والصُبحِ إذا تَنَفَّس » فدلَّ بذلك على أنَّ القسَمَ بالليلِ مُدبراً وبالنهارِ مُقبلاً ، والعربُ تقولُ : عَسْعَسَ الليلُ ، وسَعْسَعَ الليل : إذا أدبرَ ، ولم يبقَ منهُ إلا اليسيرُ .

وقولُه : « والصبحِ إذا تنفَّسَ » يقولُ : وضوءِ النهارِ إذا أقبلَ وتبيَّنَ .

وقولُه : « إنَّه لَقولُ رسولٍ كريمٍ » يقولُ تعالى ذِكْرُهُ : إنَّ هذا القرآنَ لَتنْزيلُ رَسولٍ كريمٍ ، يعني جبريل ، نزَّلَه على محمدٍ بن عبدِ الله ، صلى الله عليه وسلم .

وقولُه : « ذي قوَّةٍ عندَ ذي العَرشِ مَكينٍ » يقول تعالى ذِكْرُهُ : ذي قوةٍ ، يعني جبرائيل ، على ما كُلِّفَ به مِن أمرٍ غيرِ عاجزٍ عندَ ذي العرشِ ، مكين : يقولُ : هو مَكينٌ عندَ ربِّ العرشِ العظيمِ .

www.fustat.com ©

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى :

مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾

يقولُ تعالى ذِكْرُهُ : « مُطاعٍ ثَمَّ » يعني جبريل صلى الله عليه وسلم ، مُطاعٍ في السماءِ تطيعُه الملائكةُ ، « أمينٍ » يقولُ : أمينٍ عندَ اللهِ على وَحْيِهِ ورسالتِه ، وغيرِ ذلك مما ائْتَمَنَهُ عليه .

وقولُه : « وما صاحِبُكُم بمجنونٍ » يقول تعالى ذِكْرُهُ : وما صاحبُكُم أيها الناسُ محمدٌ بمجنونٍ ، فيتكلَّم عن جِنَّةٍ ، ويهذي هَذَيانَ المجانين ، بلْ جاءَ بالحقِّ ، وصدَّقَ المرسلينَ .

وقولُه : « ولقدْ رَآهُ بالأُفُقِ المبينِ » يقولُ تعالى ذِكْرُهُ : ولقد رآهُ ، أي محمدٌ ، جبريلَ صلى الله عليه وسلم في صورتِه بالناحيةِ التي تبين الأشياء ، فتُرى من قِبَلِها ، وذلك مِن ناحيةِ مطلعِ الشمسِ مِن قِبَلَ المشرقِ .

وقولُه : « وما هُوَ على الغَيْبِ بضنينٍ » اختلفَ القراءُ في قراءةِ ذلك ، فقرأتْهُ عامةُ قرَّاءِ المدينةِ والكوفةِ « بِضَنينٍ » بالضاد ، بمعنى : أنَّه غيرُ بخيلٍ عليهم بتعليمِهم ما علَّمه اللهُ ، وأنزلَ إليهِ مِن كتابه . وقرأَ ذلك بعضُ المكِّيين وبعضُ البصريين وبعضُ الكوفيين « بظَنينٍ » بالظاءِ ، بمعنى : أنه غيرُ مُتَّهَمٍ فيما يخبرُهم عن اللهِ مِن الأنباءِ . وأَوْلى القراءتينِ في ذلك عندي بالصوابِ : ما عليه خطوطُ مصاحِفِ المسلمينَ متَّفقة ، وإن اختلفتْ قراءتُهم به ، وذلك « بضنينٍ » بالضاد ، لأن ذلك كلَّه كذلك في خُطوطِها . فإذا كانَ ذلك كذلك ، فأَوْلى التأويلينِ بالصوابِ في ذلك تأويلُ مَن تأوَّلَه : وما محمَّدٌ على ما علَّمَه اللهُ مِن وحْيه وتنْزيلِه ببخيلٍ بتعْليمِكُمُوه أيها الناسُ ، بل هو حريصٌ على أنْ تؤمنوا به وتتعلَّموه .

وقولُه : « وما هُو بِقولِ شَيْطانٍ رَجيمٍ » يقول تعالى ذِكْرُهُ : وما هذا القرآنُ بقولِ شيطانٍ ملعونٍ مطرودٍ ، ولكنه كلامُ اللهِ ووحيُه .

وقولُه : « فأينَ تذهبونَ » يقول تعالى ذكره : فأينَ تذهبونَ عن هذا القرآنِ ، وتعدِلونَ عنه ؟

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى :

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

يقولُ تعالى ذِكْرُهُ : « إنْ » هذا القرآنُ ، وقولُه « هُوَ » مِن ذِكْرِ القرآنِ « إلا ذِكرٌ للعالَمينَ » يقولُ : إلاَّ تذكرةٌ وعِظَةٌ للعالَمينَ مِن الجنِّ والإنسِ « لِمَنْ شاءَ منكُم أنْ يَستَقيمَ » فجعلَ ذلك ، تعالى ذكرُه ، ذِكْراً لمن

شاءَ مِن العالمينَ أنْ يَستقيمَ ، ولم يجعلْه ذكراً لجميعِهم ، فاللامُ في قولِه : « لِمَنْ شاءَ منكُم » إبدالٌ مِن اللامِ في « لِلْعالَمينَ » ، وكانَ معنى الكلامِ : إنْ هُو إلا ذكرٌ لمن شاءَ منكُم أن يستقيمَ على سبيلِ الحقِّ فيتَّبعَه ، ويؤمنَ به .

وقولُه : « وما تَشاءونَ إلا أنْ يشاءَ اللهُ ربُّ العالمينَ » يقولُ تعالى ذِكْرُهُ : وما تشاءونَ أيها الناسُ الاستقامةَ على الحقِّ ، إلا أنْ يشاءَ اللهُ ذلك لكُم .

آخر تفسير سورة إذا الشمسُ كوِّرَتْ

www.fustat.com ©